قيمة الوقت
في حياة المسلمين

تأليف
حاتم سلامة

طيبة

هذا الكتاب

الوقت هو حياة الإنسان .. وأغلى ما يمتلكه المرء .. وهو رأس مال أي عاقل في هذه الدنيا ..

ولهذا .. فإن هذا الكتاب يؤكد ويوضح أهمية الحفاظ على الوقت وكيف يستفيد المسلم من وقته ؟ كما يذكرنا بأحوال السلف والتابعين وكذلك علماء الأمة في حفاظهم على وقتهم واغتنامهم كل لحظة من لحظات العمر ..

إن الأمة التي تستفيد بأوقات شبابها وأبناءها وتستثمر كل لحظة من أوقات فراغهم هي الأمة التي سيكتب لها قيادة البشرية ..

وعلى العكس .. فإن الأمة التي تتفنن في ضياع وقت أبناءها فهي بلا شك ستبقى وتظل في ذيل الأمم وليصدق قولهم عنا أننا :

" أمة من العالم الثالث "

فهيا أيها الصادقون من الدعاة والعلماء والأمناء على هذه الأمة .. بينوا أهمية الوقت وخطورة ضياعه ؛ لتنهض أمتنا وتعلو رايتها وما ذلك على الله بعزيز ..

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ..

الناشر

أهمية الوقت
في حياة المسلمين

تأليف
حاتم سلامة

الحقوق محفوظة لـ طيبة برقم إيداع: ٤١١٥ / ٢٠٠٦

ت: ٠١٠ ٦٦٩٢٦٣٥
Email : tibaadv@yahoo.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله ..

وبعد ،،

فكل هذا الهوان وكل هذا الخذي سببه الأول والأخير أننا أهدرنا الحياة في الباطل وقضينا الوقت فيما لا نفع فيه وإذا أردنا المجد والعز والسيادة من جديد ..

فلنعرف للوقت قيمته.

ولتكن هذه الكلمات نذيراً للتائهين الخاملين أن ينهضوا من جديد ، ليكون الوقت أول سلاح نقاوم به الحملات الصليبية الغاشمة التي عدت على البلاد الإسلامية فدمرت الأرض والعرض والشرف .

ما أدركت أمة من الأمم قيمة الوقت إلا عزت وقويت ونهضت ، وما أهدرت أمة قيمة الوقت إلا ذلت وضعفت واندثرت ودهستها أقدام الأقوياء .

هذا هو الدرس الذي حفظه التاريخ
ووعاه القاصي والداني والقريب والبعيد
بل هو الدرس الذي وعاه أعداء الأمة
فاغتنموا الوقت ليصيروا اليوم سادة العالم
والقابضين على مصائر الشعوب،
أما المسلمون فأهدروا الوقت في النوم
والترف والشهوات والجدال والخلاف
حتى خضعت رقابهم للصليبية والصهيونية
وعاد زمن الاحتلال من جديد
فأهانوا شرف الأمة ومرغوا ترابها في الوحل
وهتكوا العرض ودنسوا الشرف واستباحوا الحرمات .
ومازالت النكبات تتوالى ، والعدو في شرهه مستأسداً .

موضوعات الكتاب

١- قيمة الوقت .
٢- لو كان الوقت يشترى .
٣- العمر لحظة .
٤- المسوفون هم الخاسرون .
٥- الغيرة على الوقت .
٦- الهدف واغتنام الوقت .
٧- المسلم لا يعرف اليأس .
٨- السلف .. والهمة في طلب العلم .
٩- الجدل ضياع ومهلكة .
١٠- تربية الأولاد على اغتنام الوقت .
١١- اغتنام الوقت في الدعوة .

قيمة الوقت

عظم الإسلام من قيمة الوقت ولفت الأنظار إليه .. لقد جاءت آيات القرآن تقسم بأجزاء الزمن والقسم لا يكون إلا بشيء مهم وذا قيمة كبيرة ..

قال تعالى :

" والضحى والليل إذا سجى "

وقال أيضاً :

" والفجر وليال عشر "

وقال أيضاً :

" والعصر "

وقال أيضاً :

" واليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى "

ثم يدعو القرآن إلى الرغبة في الخير والإقدام عليه ..

فيقول تعالى :

" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم "

ويقول أيضاً :

" فاستبقوا الخيرات "

فالسرعة والسبق كلها ألفاظ توحي باغتنام الوقت ..

● وانظر لجواب الكافرين المعذبين حينما سألهم الحق بقوله :

" قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادين "

إن إجابتهم توحي أنهم لم يعيشوا يوماً أو بعض يوم ولكن الحقيقة أن منهم من عاش ستين سنة وثمانين ومائة ولكنهم لم يعرفوا حقيقة وقتهم ولم يستغلوه فيما ينفع مالم يبارك الله تعالى فيه فترتب عليه إحساسهم بقصر أعمارهم.

ثم يقول الرسول ﷺ :

" لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال ؛
عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ،
وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به "

رواه الطبراني بإسناد صحيح

● وقد وعظ النبي ﷺ رجلاً فقال له :

" اغتنم خمساً قبل خمس ؛ حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ،
وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ،وغناك قبل فقرك "

رواه أحمد وغيره

● وقال أيضاً :

"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"

فمن قضى عمره في غير طاعة الله والعمل لنصرة دينه فقد خسر خسراناً كبيراً وضل ضلالاً بعيداً .

● قال الإمام ابن القيم :

" كل نفس وكل عرق يخرج في الدنيا في غير سبيل الله
سيخرج يوم القيامة حسرة وندم "

● وقال أيضاً :

" من علامات مقت الله للعبد تضييع وقته فيما لا فائدة فيه ، لأنه يفوت على نفسه فرصة الجنة ، ومن علامات حب الله للعبد أن يجعل مشاغله أكثر من وقته لأن الشيطان يتسلط على العبد الخالي من العمل "

■ وقال بعض البلغاء :

لا تمض يومك في غير منفعة ولا تضع مالك في غير صنيعة ، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير النافع ، والمال أقل من أن يصرف في غير الصنائع ، والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره ، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره .

■ " اجتمع بنوا مروان يوماً فقالوا لو دخلنا على أمير المؤمنين عمر فعطفناه علينا وأذكرناه أرحامنا ؟ .. فدخلوا فتكلم رجل منهم فمزح ، فنظر إليه عمر، فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال عمر : لهذا اجتمعتم ؟ .. لأخس الحديث، ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم فعليكم بمعالي الحديث !! "

وما أجل وما أصدق ما عبر به الإمام الشهيد عن قيمة الوقت بقوله :

" الوقت هو الحياة "

وقال الشاعر :

وما المرء إلا راكب ظهر عمره ... على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحى كل يوم وليلة ... بعيدا عن الدنيا قريباً من القبر

وبقدر ما كان الوقت أثمن شيء ،
فهو كذلك أيسر ما يفرط فيه الإنسان .

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيم

فليدرك المسلم قيمة وقته ، وليقضه في طاعة ربه قبل أن يفوت الأوان ،
فيدركه الشيب ، ويصيبه العجز ، فيصير من القاعدين .

لو كان الوقت يشترى

كم يبلغ الأسى بالإنسان حينما يرى أولائك الذين يهدرون أوقاتهم ، بل كم يتمنى لو ان هذه الأوقات تشترى ليوظفها في مسارها الصحيح .

• قال الحارث بن أسد المحاسبي :

" والله وددت لو أن الوقت يشترى بالمال لأشتري بأموالي أوقاتاً من الفارغين والغافلين أنفقها في سبيل الله "

وكان محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري رحمه الله المتوفى سنة ٢٢٧هـ كان حال مجلس العلم يجلس في مجلس إملاء والشيخ يملي فانكسر قلم محمد بن سلام وهو يكتب ، والشيخ لن ينتظر في إملائه حتى يجد قلماً آخر ، فإذا به ينادي بين الطلبة : قلم بدينار ، قلم بدينار ، والقلم يساوي أقل من دينار ، ولكن انكسر قلمه ويريد قلماً في الحال وعنده القلم أهم فدفع مالاً ليوفر وقته .

ولماذا لا يشتري الوقت وضياعه أشد من الموت ..؟!

• قال ابن القيم رحمه الله :

" إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ،
لقد بلغ الهراء مبلغه بكثير من المسلمين إذ أصبح بعضهم يقول :
أقتل وقتي أو أسلي وقتي لأنه يعيش لحظات من الملل
يتمنى زوالها وذهابها .. "

يذهب بعضهم للمقاهي والملاهي والأندية والحفلات وهي الأماكن التي أعدت لهذه الجريمة الكبرى وهي :

قتل الوقت

•• إن واقع الأمة اليوم ليرفض هذا التيه وهذا الضياع ، فالأمم من حولنا تتنافس نحو النهوض والتقدم ، وأولى بأمة المسلمين أن تبذ هؤلاء جميعاً ، ولن يكون التفوق إلا حينما نعرف كيف نستغل الوقت ونستثمره فيما فيه النفع والفائدة .

وهذا التوجيه أولى من يشعر به اليوم هم حكام المسلمين فلا يضيعوا أوقاتهم في الشهوات والملذات ليصرفوها في تحقيق العدل والإنصاف بين الرعية ، عليهم أن يعلموا شعوبهم وقيمة الوقت ، كيف يمتطونه لنهضة الأمة وبناء

الحضارة الإسلامية من جديد .

•• استأذن رجل علي أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ليريه مهارته في ألعابه فأذن له فأخذ الرجل عدداً كبيراً من الصحاف وجعل يتقاذفها في الهواء في في مهارة عجيبة دون أن تقع منها شيء على الأرض !

قال أبو جعفر : ثم ماذا؟

فأخرج عدداً كبيراً من العصى في طرف كل منها مكان لتركيب الأخرى، ثم رمى العصى الأولى فرشقت في الجدار فرمي الثانية فدخلت في ثقب الأولى، وهكذا مائة عصاة ، لم يقع منها شيء على الأرض ..

ولما انتهى من ألعابه ، توقع أن يكافئه أمير المؤمنين على مهارته ، لكن أبا جعفر المنصور نادى على جلاديه وقال :

خذوا الرجل واعطوه مائة جلدة ..!!

صاح الرجل : لماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال :

لأنك ضيعت وقت المسلمين فيما لا يفيدهم . . !!

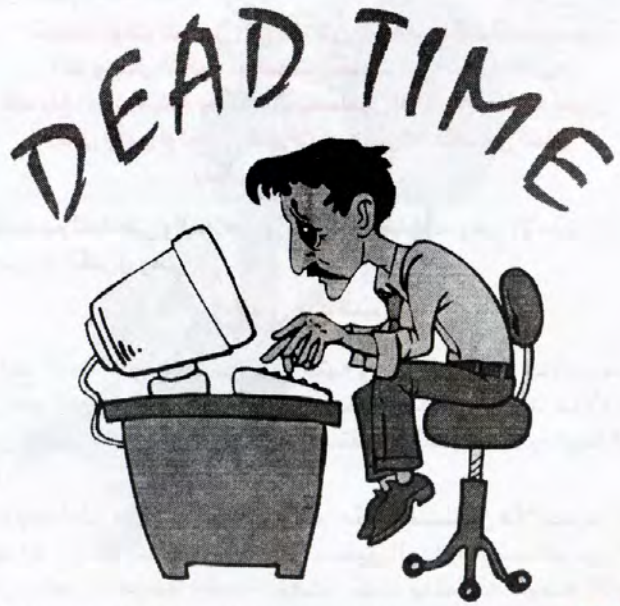

العمر لحظة

يا لها من كلمة تعبر عن مغزاها تشعر بصدقها حقاً يوم أن يموت الإنسان فيقف على قبره وتشعر وكأنه لم يقض من الدنيا شيئاً ولم يعش فيها إلا قليلاً .

■ وما أصدق تعبير الحسن البصري :

" يا ابن آدم إنما أنت أنفاس ، فإذا ذهب نفسك فقد ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل "

■ وقال عمر بن عبد العزيز :

" إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيها "

■ وقال بعض السلف :

" اعملوا لأخرتكم في هذه الأيام التي تسير كأنها تطير "

■ قال سيدنا ابن سعود رضي الله عنه :

" ما ندمت على شيء كندمي على يوم غربت فيه شمسه ولم يزد فيه عملي "

لقد أدركوا قيمة العمر و مروره السريع فاغتنموا فيه الوقت فصنعوا عظائم الأعمال ، وانجذوا أعظم البطولات ،

وصاغوا صروح المجد

إن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قاد جيش المسلمين وهو ابن ستة عشر عاماً .

ومثله محمد بن القاسم الثقفي الذي دق أبواب الصين وهو فيما دون العشرين.

ومثله أيضاً محمد الفاتح الذي زلزل حصون القسطنطينية وهو في زهرة الشباب .

ألا فليتعلم شباب المسلمين كيف يتحملون المسئولية ، ويرفعون على كواهلهم ألوية الدين ، وفي ضمائرهم عبء الأمة وهمومها

فالعمر لحظة

إن سعد بن معاذ رضي الله عنه أسلم وعمره ثلاثين عاماً ومات وعمره سبعة وثلاثين لقد عاش في الإسلام سبع سنين .. وكان مقامه أن اهتز لموته عرش الحمن، ونزل سبعون ألف ملك يشيعون جنازته و كل هذا المجد، وهذا الإنجاز الرهيب

في سبع سنوات فقط ، بينما نرى من يقضي السنين الطوال ولم يبلغ معشار ما بلغ .

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

إن أبا بكر ﷺ في سنتين ونصف حارب المرتدين وقاتل الروم وقاتل مانعي الزكاة وقاتل مدعي النبوة .

وعمر ﷺ في عشر سنين هزم العالم كله وهدم ممالك الطغيان واحدة بعد أخرى ..

■ قال ابن عطاء الله السكندري :

" رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثير أمداده ، من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ، ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة "

إن صغار الصحابة كانوا يتنافسون على القتال في سبيل الله والخروج للغزو .

إذ حدث أن النبي أجاز شاباً من الصحابة لبلوغ سنه وهو رافع بن خديج ورفض آخر أصغر منه وهو سمرة بن جندب فقال له ربيب سمرة : يا رسول الله إن ابني يغلب رافع فعقد النبي ﷺ بينهم مصارعة فغلبه فأجازه الرسول ﷺ .

يتصارعون في أمر الموت ، يتصارعون رغبة في الجهاد وغيرهم يتصارع طمعاً في الدنيا ورغبة في ملذاتها !!

■ وعن أبي سعيد الخدري قال : عرضت على رسول الله ﷺ يوم الخندق وأنا ابن ثلاث عشر سنة فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول : يا رسول الله إنه عبل العظام " ضخم العظام جسمه أكبر من سنه " فردني ، قال : وخرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق - قال الواقدي وهو ابن خمس عشرة سنه .

هؤلاء أقوام عرفوا قيمة أعمارهم فملؤها عملاً وجهاداً ، وجداً ، ونضالاً .. فاستطاعوا أن يسودوا البشرية ، ويقودوا الممالك .. إنهم حقاً كما قيل عنهم رهبان الليل وفرسان النهار ، فليكن لنا فيهم عبرة ومثل ، لتصير حياتنا مشحونة بالعمل والكفاح .

لقد كان أحدهم يعمل بالنهار فإذا ، جن عليه الليل وقف منتصباً يعبد الله يطيل الركوع والسجود .

■ أما هؤلاء الذين يهدرون نهارهم فيما لا نفع فيه ويهدمون ليلهم بالسهرات الفارغة الباطلة ، التي يشوبها المجون ، وتقوم عمادها على الغيبة والنميمة، وهتك أعراض المسلمين .. فما أبعد حياتهم عن سيرة السلف وحالهم

المجيد . أفيقوا رحمكم الله ، أدركوا نعمة الله وانهلوا من فيض ربكم فالعمر يسير ، والموت يأتي بغته .

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته كم

كم صحيح مات من غير سقم ... ذهبت نفسه السليمة فلته

أيها المسلم إنك صاحب رسالة وهدف ، ولست من أصحاب اللهو والترف بدلاً من أن يكون سهرك في الباطل فليكن في الحق والطاعة والقرب من الله .

ليكن ليلك في القيام والقرآن والتبتل والخشوع

قطع الليل رجال ... ورجال وصلوه

رقدوا فيه أناس ... وأناس سهروه

لا يميلون إلى النوم ... ولا يستعذبوه

فكأن النوم شيء ... لم يكن يعرفوه

واحذر أخي أن يثنيك النوم عن فضل الليل فتضيع من عمرك أجمل اللحظات التي تمكنك من رضاء الله .

يا نائماً مستغرقاً في المنام ... قم فاذكر الحي الذي لا ينام

مولاك يدعوك إلى ذكره ... وأنت مشغول بطيب المنام

وقال آخر :

أبيت سهران الدجي وتبيته ... نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي

لقد كان هارون الرشيد ممن يدركون قيمة الليل والقيام فيه رغم شواغله وأعماله كخليفة للمسلمين هذا الرجل الذي يشاع عنه المجون والترف كذباً وافتراء .. كان من أعبد المسلمين وأطوعهم لله وأغيرهم على دينه .

• قال عنه الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء :

" وكان يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات "

• وقال ايضاً في صفته :

" وكان كثير الغزو والحج "

وهكذا العقلاء يكثرون من الخير قبل فناء العمر

مرت سنين بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام

ثم انثنت أيام هجر بعدها ... فكأنها من طولها أعوام

ثم انقضت تلك السنوات وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

المسوفون .. هم الخاسرون

أيها العاقل:

- كيف تسوف وعمرك في سيره أسرع من قطار ؟
- كيف تسوف وروحك ليست طوع أمرك ؟
- كيف تسوف وعينك تبصر الموت يقصف أعمار الشيوخ .. ويفني آمال الشباب ؟
- كيف تسوف ويومك لا تدري أيبحر بك للذي يليه أم ينحرف لشاطئ النهاية ؟

■ قال الحسن البصري :

" إياك والتسويف ، فإنك بيومك ، وليست بغدك "

■ وقال آخر :

" (سوف) جندي من جنود إبليس "

وقيل لرجل من عبد القيس : أوصنا ، فقال : " احذروا سوف "

قال ﷺ :

" اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك "

رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي

تأمل مطلع الحديث "**اغتنم**" وهو لفظ يوحي باليقظة والهمة والسرعة قبل أن يحدث العائق الذي يمنعك من غايتك .. دعا أحد الأمراء رجلاً صالحاً إلى الطعام ، فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير : أفطر وصم غداً .. قال : وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد ؟

وقال الشاعر :

عليك بأمر لا تنتظر غداً ... فمن لغد من حادث بكفيل

وقال غيره :

ولا ترج فعل الخير منك إلى غدٍ ... لعل غداً يأتي وأنت فقيد

• قال الحسن البصري رحمه الله :

" ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل "

• وقال رجل لبعض الزهاد بالبصرة : ألك حاجة ببغداد ؟ قال : ما أحب ابسط أملي إلى أن تذهب إلى بغداد وتجئ .

• وقال بعض الحكماء :

" الجاهل يعتمد على أمله ، والعاقل يعتمد على عمله "

• وقال بعض البلغاء :

الأمل كالسراب ، غرَّ من رآه ، وخاب من رجاه

إنك في دار لها مدة ... يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطاً بها ... يقطع فيها أمل الامل ؟
تعجل بالذنب لما تشتهي ... وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا بغته ... ما ذاك فعل الحازم العاقل

الغيرة على الوقت

الغيرة على الوقت هي الشعور الطبيعي لكل عاقل حينما يرى وقته يضيع بدون فائدة وينظر لغيره وهو يشمر عن ساعد الجد فيفني وقته في العمل والطاعة.

قال تعالى :

" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون "

إنها تحرض على السباق في الخير والمنافسة فيه إنها تحرض على الغيرة التي بدونها تصبح حياة الإنسان هملاً وطيشاً .. إن كثيراً من العاطلين تدب فيهم روح العمل والنشاط حينما يروا غيرهم قد أمسك بزمام وقته وأنفقه في الحق والخير .

وفي حياتنا العامة نرى كثيراً من الناس يتسابقن في تنمية أموالهم وأعمالهم فإذا نظرت لهذا السباق رأيت الدافع وراءه في أغلب الأحيان يرجع للغيرة فهذا لا يريد أن يكون غريمه أغنى منه وذاك لا يقبل أن يكون نده أنشط منه .

دفعتهم الغيرة لسباق المادة الفانية .. فأولى بالمسلمين أن ينمو في صدورهم شعور الغيرة على الوقت فينشطون في الطاعة والجهاد والعمل.. وأول المجتمعات التي نوجه إليها غيرتنا فننافسها في النهوض هي تلك المجتمعات الغربية التي تقدس الوقت وتجعل منه نواة التقدم والنهوض .

لقد عينت فرنسا وزيرا اسمه : " **وزير الوقت الضائع للشباب** " ، وانظر لهذه الإحصائية التي تمثل الفارق بين المواطن الغربي والمواطن العربي:

- ★ المواطن العربي يمضي ٦٠٪ من يومه في مشاهدة التلفاز و٢٨٪ في أشياء لا قيمة لها ، وينام في الثانية أو الثالثة صباحاً ، ويستيقظ في العاشرة .
- ★ أما المواطن الغربي يستيقظ في السادسة صباحاً ، وينام في العاشرة مساءاً ولا يعرف اللهو إلا في عطلة نهاية الأسبوع .
- ★ المواطن الغربي يقرأ وهو في وسائل المواصلات أو أثناء انتظار للطبيب .
- ★ المواطن الغربي وقته ضائع في اللعب على الكمبيوتر أو الدردشة ، أو التنزه بالسيارة أو الأكل أو الجلوس في المقاهي ..(١)

(١) جريدة الأسرة العربية

ولله در الشاعر الذي يصور حال المسلمين وواقعهم بقوله :

جلودنا ميتة الإحساس
أرواحنا تشكوا من الإفلاس
أيامنا تدور بين الزار والشطرنج والنعاس

فهل نحن

" خير أمة أخرجت للناس " ؟

الهدف واغتنام الوقت

للهدف قيمة جليلة في حياة الإنسان ، ولا نبالغ إذا قلنا إن الهدف يشعر الإنسان بقيمته في هذه الحياة .

الهدف هو الذي يدفع الإنسان لاغتنام وقته وتقدير عمره .. وهو الذي يبث النشاط في العزيمة ، فتقدم على مقصودها وتحقيق مرادها .

الهدف هو الذي يرفع من قيمة الإنسان ويعلي مقام الشعوب .. به ترقى الأمم، وترسى قواعد المجد والحضارة .. وإذا خلت حياة الإنسان من الهدف عاش عمره في الجهل والتيه والضياع والفراغ .

ومن هنا جاءت رسالة الإسلام
ومعها الهدف الذي من أجله وجد الإنسان.

• قال تعالى :

" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "

• وكان أول بيان تحدى فيه النبي ﷺ إرادة الكفر بياناً شعاره الهدف إذ قال لعمه:

" والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو هلك دونه "

هذا هو رده ﷺ الذي أيقن أن رسالته رسالة جد واجتهاد ، رسالة تنافي وتجافي ضياع الوقت والفراغ .

• قال عليه الصلاة والسلام :

" مضى عهد النوم يا خديجة "

حتى النوم لا مكان له في هذه الرسالة التي تدعو لاغتنام الوقت . لقد سار المسلمون على هذا الدرب فحملوا بأسياقهم على العالم القديم ، فهدموا ممالك الباطل ، وهزموا صروح الطغيان في زمن وجيز .. وذلك لأنهم أصحاب هدف وغاية ..

• عبر عنها ربعي بن عامر بقوله أمام رستم قائد الفرس :

" جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد "

ها هو أعرابي يخرج من البيداء يعرف وجهته وغايته ..
فما أعظمها من نعمة حبي الله بها أمة العرب أن عرفت هدفها وغايتها ..
في الوقت الذي ضلت فيه الشعوب وحارت فيه العقول .

• فهذا أفلاطون فكر ودرس وفي النهاية قال :

لماذا خلقنا ؟ لأن الله خلق الكون ثم نسيه بعد ذلك !!
فمن أجل ذلك يتصارع الناس لأنهم لا يعلمون لماذا خلقنا .

• **كارل ماكس قال:**

لماذا خلقنا ؟ أجاب بكلام صعب جداً ، فقال : أراد الله أن يلهو ويلعب فخلق الناس لكي يتصارعوا فيسعد منهم ويضحك !!

• وهذا الشاعر التائه إيليا أبي ماضي في قصيدته " الطلاسم " لا يعرف هدفه فيقول :

" جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت .. ولقد أبصرت أمامي طريقاً فمشيت .. وسأبقى سائراً إن شئت هذا أو أبيت .. كيف جئت ؟ لست أدري .. أين أذهب؟ لست أدري .. لماذا جئت ؟ لست أدري "

فالحمد لله على نعمة الإسلام التي وضحت الهدف وبينت الغاية

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم حشر ثم نشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت أناس ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

المسلم لا يعرف اليأس

مهما كان واقعنا مؤلم ، وحياتنا تنذر بالضياع فإن الله تعالى قبل ذلك قد ذم اليأس ، وعاب القنوط ورفض أن يكون المسلم مستسلماً لضعفه ، خاضعاً لهوانه .

قال ﷺ :

" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرعها "

فلنطرح اليأس جانباً ولنسدل الستار على القنوط ، وليكن بيننا وبين ضعفنا حجاباً سميكاً مهما تشبث بنا .

ولنمضي نحو بناء نهضتنا ، واستعادة مجدنا ، وكفانا ما تجر عناه وما ذقناه من مرارة التأخر والتقهقر حتى صرنا في مؤخرة الركب ، وزيولاً للأمم ، وقد كنا قادة العالمين .

وهنا تأتي كلمات الإمام الشهيد يبث بها الأمل في نفوس المسلمين ويحضهم على رفض اليأس يقول :

" لا يتأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين ، وحقائق اليوم أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد ، ومازال في الوقت متسع ، ومازالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد ، والضعيف لا يظل ضعيفا طول حياته والقوي لا تدوم قوته أبدا الآبدين "

هناك أمم قد نال الضعف منها نيله ، وأخذت الهزيمة منها مأخذها ولكنهم رفضوا بهمة جسورة أي نوع من الاستسلام والاستكانة فقاموا للعمل والنهوض، يرفعون لواء التفاؤل وكأنهم يرون سحائب الضياع وقد تلاشت من أفقهم .

الصين مثلاً :

في بداية القرن العشرين ، كانت تعاني الجهل والفقر والتخلف، وفي العشرينات زادت الحالة سوءاً بالفيضانات والزلازل وانهارت الصين ، وفي الأربعينيات خاضت حرباً أهلية طاحنة دمرت الآلاف من الشعب الصيني ، وفي الخمسينيات قرر الصينيون أن ينجحوا، وبدأوا في نفس الوقت الذي بدأت فيه كثير من بلادنا ، وكانت النتيجة أنهم في غضون ٣٠ عاماً أصبحوا قوة عظمى في العالم واستطاع " ماوتس تونج " أن ينهض بالصين برفع شعار " لا لليأس " .
واليابان انتقلت نقلة رهيبة في ٣٠ سنة ، وألمانيا كذلك .

ومالنا نضرب مثلاً بالأعاجم في علو الهمة ورفض اليأس ، واغتنام الوقت ولنا في سلفنا خير عبرة وشاهد ففي زمن وجيز هدموا الجبابرة وزلزلوا العروش وسحقوا الممالك ، وحطموا الطواغيت وطمسوا معالم الضلال وأزاحوا الإفك ونصروا الحق ، ورفعوا في العالم ألوية العلم والحضارة ، وطبعوا في ضمير الزمان مبادئ التوحيد والعدل والإخاء والمساواة .

كل هذا لأنهم عرفوا هدفهم ..
وسخروا له وقتهم ..
ولم يستسلموا للبغي..
مهما علا سلطانه واشتد باسه وجبروته .

- هؤلاء هم السلف وهذه حياتهم .. جهاد ونضال وعمل .. لا وقت للعب والعبث.. لا مكان للخمول والكسل .. لقد جاء في وصفهم :

كان السلف دعاة بالسيف يواجهون به أعداء الحق ، وقبل هذا باللسان يكشفون به مراحل الطريق

كم سقوا مواضم السجود دموعاً ... واعلوا القنا دماء ذكية
فلهم في الليل بكاء حزين ... وفي الصبح غضبة مضرية

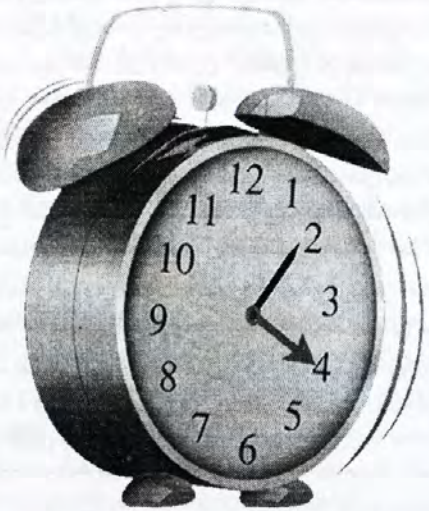

السلف .. والهمة في طلب العلم

لقد كان العلم هو أعظم شيء صرف المسلمون فيه همتهم ، وانفقوا فيه أوقاتهم ، فليس هناك شيء أحب أن يتقرب به إلى الله من العلم .

لقد أدركوا أن في العلم حضارتهم وقوتهم ، فكان سبيلهم إليه ، وجهادهم فيه إذ كان بعضهم يقضي سفراً طويلاً ، وطرقاً وعرة لحديث واحد يريد تحصيله، أو للقاء شيخ سمع عن نبوغه وعلمه .

وهذه هي الحقيقة التي أثارت من دهشة مؤرخ وباحث غربي فرنسي شهير وهو " غوستاف لبون " في كتابه المشهور " حضارة العرب " حيث قال :

" والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، وإذا كانت هنالك أمم تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما تحتمل ، والعرب كانوا إذا ما استولوا على المدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها ، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة ، ومنها المدارس العشرون التي روى (بنيامين التطلبي) المتوفى ١١٧٣ م أنه شاهدها في الإسكندرية ، وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة إلخ، على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنيه ، وكل ما يساعد على البحث العلمي ، وكان للعرب في أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عاقه وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب منها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس كما روى مؤرخوا العرب ، وقد قيل بسبب ذلك إن (شارل الحكيم) لم يستطع بعد أربعمائة سنة أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت " (١)

من قبل أن تكون هذه الحضارة الزاهرة التي أدهشت من لب العلماء والحكماء.. كان السلف الصالح الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذه الحضارة يوم أن أخذوا من العلم رسالة ، ضحوا في سبيلها بكل أوقاتهم، وبذلوا لها كل فراغهم .

- فنرى واحداً كالإمام النووي يموت وعمره أربعة وأربعين عاماً دون أن يتزوج، لأن حياته قد شغلت بطلب العلم وتحصيله.. شغلته حتى عن اللذة والشهوة.
- وحكى أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة قال : كان أبو حنيفة يحتضر ، فطلب ورقة وقلما ليحل مسألة وقال : لو بقى من العمر لحظة لوددت أن أفعل فيها شيئاً ينفع المسلمين أقابل به الله .

(١) حضارة العرب تأليف د/غوستاف لبون ترجمة عادل زعيتر

- وكان ابن عقيل الذي ألف كتاب الفنون من ٨٠٠ مجلد كان يقول ، أنا لا آكل كما تأكلون ، بل آي بالكعك أضعه في الماء ليصير عجيناً فأبتلعه لأوفر الوقت.. ومات سيبويه جهبز النحو وهو ابن ثلاثة وثلاثين عاماً .
- وكان شيخ الإسلام ابن تميمة من حرصه على الوقت أن يضيع في غير العلم كان إذا أراد أن يدخل الخلاء قال لحفيده أو أحد أولاده :

اقرأ هذا الكتاب وارفع صوتك بالقراءة لكي أسمع ..

وذلك لكي لا يضيع الوقت وورد أيضاً عن تلميذه ابن القيم أنه ألف كتابه الشهير " زاد المعاد " وهو ذاهب للحج على راحلة .

وللشافعي رحمه شعر يعبر فيه عن وفاة من أهدر شبابه ووقته ولم يستغله في تحصيل العلم إذ يقول :

اصبر على مرالجفا من معلم ... فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعاً لوفاته
فذات الفتى والله بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

- وكان ابن الجوزي رحمه الله يشتكي من زواره لأنهم يكثرون من زيارته فيفسدون عليه وقته ويضيعونه فماذا فعل ليستفيد من هذا الوقت قال: ثم اعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة ، ولكن لابد منها لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً ، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد وبري الأقلام ، وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لابد منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب فأرجأتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي.

قال الخطيب البغدادي سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي يحكي أن محمد بن جرير الطبري المتوفى منذ ٣١٠ هـ عن ثلاث وثمانين سنة مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقه أي أنه رحمه الله كتب ما يقرب من ٥٨٤٠٠٠ أربعة وثمانين وخمسمائة ألف ورقة

- وهذا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي يقول : كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد وتاب علي يدي مائة ألف وأسلم علي يدي عشرون ألف يهودي ونصراني وقال أيضاً لو قلت أني قد طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر وأنا بعد في الطلب .
- وقال عنه صاحب كتاب الكنى والألقاب : إن براية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير فأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها .

- ويقول تاج الدين السبكي عن ابن النفيس وصف كتابا سماه الشامل ولو تم لكان ثلاثمائة مجلد تم منه ثمانون مجلدا وكان فيما يذكر على تصانيفه من ذهنه .
- وكان رحمه الله إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره ويكتب مثل السيل إذا انحدر فإذا كل القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمن في بري الأقلام .
- ويأتينا خبر الإمام سليم بن أيوب الداري أحد كبار أئمة المذهب الشافعي المتوفى ٤٤٧ هـ يحاسب على الأنفاس أن تضيع دون فائدة فقد قال أبو الفرج غيث بن علي التنوخي الصوري: وحدثت عنه أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس لا يدع وقتا يمضي عليه في غير فائدة إما ينسخ وإما يدرس أو يقرأ فينسخ شيئا كثيرا ولقد حدثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني - **وهو أحد تلامذته** - أنه نزل يوما إلى داره ورجع، فقال : قد قرأت جزءا في طريقي.
- قال وحدثني المؤمل بن الحسن أنه رأى سليما خفي عليه القلم " لم يعد يصلح للكتابة" فإلى أن قطعه أي براه جعل يحرك شفتيه، فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ .
- هذه هي بعض الملامح من حياة سلفنا الصالح وتصرفاتهم في أوقاتهم التي كانوا يعلمون أنها الحياة وأنها معنى وجودهم فكانوا يصرفونها في أعظم شيء يتقربون به إلى الله تبارك وتعالى وهو العلم وتحصيله وتدوينه وكانوا يستغلون أوقاتهم في الترقي من حال إلى حال أحسن منها حتى يكون يوم أحدهم أفضل من أمسه وغده أفضل من يومه ورحم الله بشر الحافي حيث قال: " أمس قد مات واليوم في النزع، وغد لم يولد فبادر بالأعمال الصالحة"

وقال بن القيم رحمه الله :

" وقت الإنسان هو عمره الحقيقي، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم وهو يمر مر السحاب فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس محسوبا من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا خير من حياته.

- ومثله كانت حياة مصطفى صادق الرافعي إذ كان الكتاب حياته حتى أن من جاء لزيارته كان يجلس معه ويأتي بكتاب ويقرأ مع دائرة لكي يغتنم الوقت فلا يضيع في القيل والقال ومالا نفع فيه .

- وهذا الإمام أبي حامد الغزالي يقول في المنقذ من الضلال :

" ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين ، إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين ، أقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الخور لا خوض الجبان الحزور ، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة ، وأقتحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ، مستن ومبتدع ، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل طهارته، ولا فلسفياً إلا وأقصر الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأترصد ما ترجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتحسس وراءه التنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندفته "

- ويقول في موطن آخر :

" وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري " فانظر إليه رحمه الله كيف قضى عمره وفي أي مجال أنفقه .

- وهذا أبو بكر الأنباري دخل عليه الطبيب في مرض موته فنظر إلى مائه - أي بوله ، وقال : قد كنت تفعل شيئاً لا يفعله أحد ، ثم خرج فقال: ما يجئ منه شيء ، قال له : ما الذي كنت تفعل ؟ ، قال الأنباري : كنت أعيد كل أسبوع عشرة آلاف ورقة .
- وهذا الإمام السيوطي يتحدث عن وقته كيف كان يقضيه .. يقول :

" طالما قطعت نهاري في التدريس والإفتاء ، واستغرقت أوقاتي في نفع الناس وقتاً موقتا ولم أسلم على ذلك ممن يوليني أذى ومقتا ويرميني كذباً وبهتاً "

ويقول :

" وأما الفتيا فقد طبقت فتاوى الأرض شرقاً وغرباً، وعجباً وعرباً ، طالما فتحت بها كل مقفلة ، وأوضحت بها كل مشكلة ، وحللت بها كل معضلة ، وأزلت بها كل مجهلة ، أغوص البحار على الجواهر ، وأفحص عن نقول الأئمة الجماهر وأتتبع ما خفى على الناس، وأزيل كل إلهام والباس ... وأصدع بالحق وأصول ، وأفوق الأسنة والنصول"

مقامات السيوطي

وأروع منه حينما صدر كتاب " **مستقبل الثقافة في مصر** " للدكتور طه حسين وأحدث ضجة كبيرة بن المثقفين بين ناقد ومؤيد أعلن الإمام حسن البنا أنه سوف يتعرض للكتاب ليدلي فيه بوجهة نظره ورأيه في حديث الثلاثاء وكان

حديثاً يحضره كثيراً من المثقفين والمفكرين وطلبة العلم ..

وعزم الدكتور طه حسين أن يحضر هذا اللقاء ليسمع رأي الإمام ونقده للكتاب في مكان خفي .. ولم يجد الإمام رحمه الله وقتا ومتسعاً " ليطلع على الكتاب إلا ذهابه وإيابه في الترام "

حيث قرأ الكتاب واستوعبه ، وخط النقاط التي منها سينطلق حديثه.

أرأيت كيف استطاع أن يغتنم الوقت .. لم يأخذ أجازة ، ولم ينعزل عن الناس بحجة الكتاب والإطلاع عليه ، خاصة وأن رأيه ينتظره الجميع .. وحينما حان وقت الحديث عرض الكتاب بدقة باهرة وكان يستشهد منه بنقاط يحفظها وكأنه قد عكف على قراءته ليل نهار .. فأعجب الدكتور طه برأيه وتحليله الذي خلا من كل مسحات الهجوم والتوبيخ والتعريض وطلب بعدها أن يلقى الإمام وكان قوله الشهير :

" لو كان كل أعدائي مثل حسن البنا ،
لكنت أول من مددت لهم يدي بالعون "

ويقول الأستاذ التلمساني يصف شغفه بالعلم :

" أقبلت على القراءة الدينية ، فقرأت تفسير الزمخشري ، وابن كثير والقرطبي، وسيرة ابن هشام ، وغيرهما من السير ... قرأت أسد الغابة والطبقات الكبرى، ونهج البلاغة ، والأمالى والعقد الفريد لابن عبد ربه، والمخصص لابن سيده، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم من جلده إلى جلده " مجلة الاعتصام

وإذا نظرنا وتطلعنا سيرة موقظ الشرق وباعث روح الثورة في بلاد الإسلام المناضل الفذ جمال الدين الأفغاني رأيناكم كانت همته واغتنامه لوقته وشبابه.

■ كتب عنه تلميذه المسيحي أديب إسحاق فقال :

" إنه تبحر في المنقول والمعقول وغلبت عليه مذاهب قدماء الحكماء، فداخله في ذلك بداءة بدء شيء من التصوف فانقطع حيناً بمنزله يطلب الخلوة لكشف الطريقة وإدراك الحقيقة ، حتى صار له في القوم كثير من الاتباع والمريدين، كل ذلك وهو دون العشرين "

فيا له من جهاد كبير في زمن يسير

الجدل ضياع ومهلكة

عيب كبير ومزمة مزرية أن يصرف المسلم همه للجدل والنقاش في أمور هامشية ، ومذاهب جدلية وآراء فلسفية عفى عليها الزمن الذين يشعلون نار الحرب والعداوة بين طوائف المسلمين ومشاربهم من أجل خلاف فقهي في حكم من الأحكام تعددت فيه آراء الفقهاء والعلماء .

يا لها من خسارة تشبثت بأمتنا يوم غاب وعي رجالها عن قضاياها المصيرية، التي تتطلب منهم أن يحيطوا بها درساً وفقهاً ليوجدوا لها علاجاً ودواءً .

الأمة تسقط اليوم بين فكي الأسد وتمزقها مخالب الاستعمار
فهل يليق بنا أن نترك ساحة الوغي ونبدد طاقتنا فيما لا نفع فيه ؟!

■ عن عبة الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

" إن أخوف ما أخاف على أمتي : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم"

كنز العمال تحت رقم ٨٧٨٣٤

وروى عن عدد من الصحابة ، قالوا خرج علينا رسول الله ﷺ : يوماً ونحن نتمارى مثله ، ثم انتهرنا فقال :

" مهلاً يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلو خيره ، ذروا المراء فكفى بإثما ألا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن المماري لأشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاث أبيات في الجنة ، رياضها ووسطها ، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن ما نهى عنه بعد عبادة الأوثان المراء " أخرجه الطبراني

■ وقال الإمام مالك :

" المراء والجدال في العلم يذهب نور ويقصي القلب ويورث الضغائن "

■ وقال بلال بن سعد :

" إذا رأيت الرجل لجوجاً مماريا معجباً برأيه فقد تمت خسارته "

■ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه :

" كفى بك آثماً أن لاتزال مماريا "

■ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

" لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث : لا تتعلمه لتمارى به ، ولا لتباهي به ، ولا لترائى به ، ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل عنه "

■ وقال مالك بن أنس :

" ليس هذا الجدال من الدين في شيء "

■ وقال بعض السلف :

" إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل ،
وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل "

وقال مسعر بن كدام يوصي ابنه كداماً شعراً :

إني منحتك ياكدام وصيتي ... فاسمع لقول اب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني تلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جار ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى وعمومه ... وعروقه في الناس أي عروق

■ انظر معي إمام المسلمين أبو حنيفة وهو من رجال الزمان الأول .. لقد وضع يده على الحقيقة وعرف كيف يسخر وجهته ويقضي وقته ويفني عمره .

لم يكن الإمام في مهده من طلاب الفقه والأحكام وإنما كان من طلاب الكلام..

هذا العلم الذي يقوم على الجدل والمناظرة والخصومة واتباع الهوى والحديث عن الأمور العقيدية التي يرميها أهل العقل بالشبهة والريب.

لقد بلغ رحمه الله كما يقال مبلغاً علم الكلام حتى كان يشار إليه بالبنان .. فكيف تحول إذا عن هذا الزيف إلى الحقيقة النافعة ليصير الفقيه الأعظم ، والإمام الملهم .

يقول رحمه الله :

" كنت أعطيت جدلاً في الكلام وأصحاب الأهواء في البصرة كثير ،
فدخلتها نيفاً وعشرين مرة وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل ظناً أن علم الكلام
أجل العلوم ، فلما مضى من عمري تفكرت وقلت السلف كانوا أعلم بالحقائق
ولم ينتصروا مجادلين .. وخاضوا في علم الشريعة ورغبوا فيه
وعملوا وتعلموا وتناظروا عليه فتركت الكلام واشتغلت بالفقه ورأيت المشتغلين
بالكلام ليس سيماهم سيماء الصالحين قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم .. "

■ ومثله الإمام الرازي صاغ شعراً أبدي فيه ندمه على وقته الذي صرفه في علم الكلام فقال :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأخر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

هكذا كانت نهاية العلم المزموم الذي يهدر الأعمار والأوقات ولا يزيد الأمة إلا تشرزماً وفرقة ندم إعراض .

وصدق ﷺ في قوله :

" ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل "

وقال أيضاً :

" أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً "

رواه أبو داود

فليصرف رجال الإسلام اليوم همتهم للمعالي وليكن وقتهم الثمين ذخيرة لنصرة الإسلام وقضيته .

• قال الإمام الشهيد **رحمه الله** :

" لا تكثر الجدل في أي شأن من الشئون ، أيا كان ،
فإن المراء لا يأتي بخير "

بل عليهم أن يكونوا إخوة في الله متحابين يمد كل منهم يده لأخيه بالعون طارحين وراءهم كل ما من شأنه أن ينبت بذرة الخلاف والعداء فالوقت لا متسع فيه والعدو متربص بالأبواب .

• قال الإمام الشهيد :

" ومن الثوابت أن الحركة الإسلامية تتمنى لكل الهيئات الإسلامية الخير
وتدعوا لها بالتوفيق ، وترى أن خير طريق تسلكها
ألا يشغلها الإلتفات إلى غيرها عن الإلتفات إلى نفسها
فالأمة محتاجة إلى جنود وجهاد ، والوقت لا يتسع للتطلع إلى الغير
والانشغال به ، فكل في ميدانه والله مع المحسنين "

رسالة المؤتمر الخامس والسادس

• ثم يقول في وصف الحركة الإسلامية :

" والحركة الإسلامية تحرص على أن نتعاون مع هذه الهيئات ،
وهي جاهدة لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين مختلف الفكر ،
وينبغي أن لا يباعد بين العاملين رأي فقهي أو خلاف مذهبي "

رسالة المؤتمر الخامس

تربية الأولاد على اغتنام الوقت

لقد كان المسلمون أفطن الناس لقيمة الوقت فعلموا أولادهم وزرعوا في عقولهم أن الوقت هو الحياة وأن الخيبة والخسار أن تضيع الحياة فيما لا فائدة فيه ولا نفع .

انظر للأم المسلمة كيف كانت تربي ولدها على معالي الامور منذ نعومة أظافره.. هذه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وقد توفى عنها زوجها العوام بن خويلد وترك لها الزبير صغيراً فأخذت في تربيته فجعلت لعبه في بري السهام وضبط النبال وكانت ترمي به في المهمات والأخطار كي يصلب عوده ويشتد حزمه وكانت إذا رأته حيث لا يريد ضربته ضرباً شديداً حتى قال لها أحد أعمامه : إنك تضربيه ضرب مبغضة فإذا بها تقول : من قال أبغضه فقد كذب ، إنما أضربه لكي يلب، ويهزم الجيش ويأتي بالسلب .

- وهذا مثل ثان أم الإمام مالك رحمه الله يحكى أن الإمام قد رأى لنفسه رأياً في مستهل حياته ، لو أنه قام بتنفيذه لحرم العلم والدين شيخاً من شيوخه، وإماماً من أئمته . ذلك أنه قد راق له في باكر صباه أن يشتغل بالغناء ولعله في نفسه صوتاً رخيماً ، وأداء " جذباً ، ولكن أمه سارعت إلى تقبيح الفكرة، موهمة إياه أنه قبيح المنظر ، والناس لا يقبلون سماع المغنى إذا لم يكن جميل المحيا ، وضئ القسمات ثم نصحته بالإقبال على الفقه - وهو العلم النافع في الدنيا والآخرة ، واستطاعت بهذا التوجيه أن تهب الإسلام نابغة من النوابغ ، وإماماً من أعظم الأئمة حينما وجهته فيما فيه النفع والمصلحة واغتنام ذلك منذ باكر شبابه .

- كان أحد العلماء يمر ذات يوم في إحدى طرقات الكوفة فوجد صبية يلعبون ووجد في دونهم صبياً ، قد اعتزل أصحابه جلس بعيداً يفكر ساهماً شارداً فظنه العالم طفلاً يتيماً أو بائساً نزلت به نازلة فأراد أن يسري عنه فنادى عليه وقدم له درهماً ، فرده الصبي شاكراً ، وقال: لست في حاجة إليه ، قال: يا بني إذاً مالك ؟.. لماذا لا تلعب مع رفاقك؟ قال : أصلح الله الرجل .. أللعب خلقنا ..؟ قال الرجل مندهشاً: ولكنك لازلت صغيراً ، قال : نعم ، ولكني تأملت أمي وهي توقد النار فوجدتها تبدأ بصغار الحطب فأخشى أن أكون من صغار الحطب التي توقد بها جهنم ... وسأل العالم : ابن من هذا؟، قالوا: هو ابن علي زين العابدين. فقال : صدق الله العظيم.. ذرية بعضها من بعض..

هكذا تعلم الأولاد أن اللعب لم تخلق له هذه الأمة ..
فشبوا على الجد والكفاح فسادوا في الأرض وغزوا على العالمين

اغتنام الوقت في الدعوة

في حياته ﷺ هو وأصحابه نجد الدعوة إلى الله ونشر الإسلام غايتهم وهدفهم

فتأمل أخي المسلم كيف كانت همتهم في طلب هذه الغاية ، وسعيهم الهمام لتحقيقها . واستغلالهم لعنصر الوقت الذي لا تقبل الدعوة غيره من الكسل والخمول .

حينما نزل الوحي عليه ﷺ ، وأدرك أنه النبي الذي اختاره الله للناس ، لم يضيع وقته ليسمر كما يسمر الناس ، أو ينام كما ينامون ، أو يلهو كما يلهون ، أو يصيبه شيء من الكسل والخمول والراحة . فتلك أمور لا تتناسب وعظم الرسالة التي يحملها ، ويقوم بنشرها .

- يصف العباس رضي الله عنه حماسة الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة واغتنامه لكل فرصة وكل وقت فيقول " ما كان راعي غنم يتبع غنمه في شعاب الجبال حفيان راجلاً (أي ماشيا) بأتعب ولا أدأب من رسول الله في تبليغ دعوة ربه ..

وهذا دون شك واضح في سيرته ﷺ وكيف لا ؟ وهو صاحب رسالة ونبوة لا تقبل أن يكون صاحبها كسول بطيء .

لقد شمر رسول الله ﷺ عن ساعد الجد ، وتحمل المشاق في سبيل الله ورفع شعاره الخالد :

" مضى عهد النوم يا خديجة "

- قال : سيد قطب رحمه الله : " قيل لرسول الله ﷺ (قم) فقام ، وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً لم يسترح ولم يسكن ، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، قام وظل قائماً على دعوة الله يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به ، عبء العقيدة كلها ، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى .. " (١)

- ويقول الشيخ الغزالي : " والدعامة الأولى في عظمة المصطفى رحمته الواسعة وقلبه الكبير ، فقد كان يبذل جهوداً مضنية لهداية الحائرين والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة ، فإذا أبوا إلا البقاء على جاهليتهم والاستمرار في ضلالتهم ملكه الحزن الشديد " (٢)

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٧٤٢ .
(٢) ركائز الإيمان : لمحمد الغزالي .

وهذه الهمة العالية ، والسرعة في العمل لدين الله واغتنام الوقت هو ما علمه الرسول ﷺ لأصحابه حينما شعروا بقيمة الرسالة التي يحملون على عاتقهم تبليغها .. وهي التي لا تقبل الكسل والخمول والتسويف والتأجيل حتى تكسب النجاح والظهور على الكفر .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت :

خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ - **وكان له صديقا في الجاهلية** - فلقيه فقال: يا أبا القاسم ، فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها فقال رسول الله ﷺ : " إني رسول الله أدعوك إلى الله " فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر .

ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بم الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم " (١)

هكذا في اليوم الثاني لإسلامه يأتي بكل هؤلاء الأفذاذ وهم تحت لواء الإسلام، مما يدل على اغتنامه السريع للوقت وعلو همته ، وسرعة تفاعله وانصهاره بهذا الدين .

وقوة الباطل لا تقبل أبداً أن ينافسها أرباب الكسل وأصحاب اللهو والسمر .. وإنما أعظم سماتهم أنهم ينشطون في اغتنام الوقت فكل لحظة تمر ينعم فيها الباطل بالسكون ولا يجد خطورة وشدة من أهل الحق فذلك من أقوى العوامل على بقائه وامتداده .

ثم إنه عيب كبير على أهل الدعوة أن يبصروا الفساق وأصحاب المنافع والطامعين يبذلون الجهد والعرق والمال ويضحون ويبذلون ولا يبخلون في سبيل الشيطان وهم ينظرون!!

بل عليهم أن ينافسوهم ويسبقوهم لتعلوا راية الإسلام .. وأفضل ما نحطم باطلهم به أن نغتنم الوقت ، ونطرح عن همتنا غطاء الكسل والخمول .

ولندرك بيقين قوىّ هشاشة الأعداء وأنهم مهما بلغت قوتهم ، وعلى صوتهم، فهم رغم هذا زيف وكذب ، وأن قواعدهم العاتية أمام ضربات المؤمنين وتحديهم ما هي إلا هشيماً تذروه الرياح .

---

(١) حياة الصحابة ١/ ٦١ .

قال الشيخ الغزالي :

" أحس أن المستقبل للإسلام ، أدرك أن قوى الشر وإن كان نقيقها يملأ أكناف المجتمع، فهي كالضفادع الصغيرة النافهة المغروسة في الطين ، التي تموت تحت أي قدم !! ومع ذلك فهي تملأ الليل بنقيقها !! هي ضفادع وسوف تختفي حتما من تاريخنا ومن حياتنا وأنا متفائل "

فلينطلق دعاة الحق لدعوة الناس، والالتفاف حول دوحة الإسلام، في هذا الزمن الرهيب، الذي تكالبت فيه قوى الشر على أمتنا، فاحتلوا الأرض، وانتهكوا العرض، وأهانوا كرامة المسلمين.

وليعلم الدعاة :

أن الوقت الراهن لا يحتاج ولا يتحمل أي نوع من الكسل واللهو والفراغ والعبث.. لأن الشعوب المسلمة، يوم تخلت عن منهج الإسلام أصبحت في حاجة كبيرة وماسة، لجهد ضخم لبناء شخصيتها وطبيعتها المسلمة المؤمنة الواثقة بربها وبدينها .. الذي يرهب الغرب الصليبي فدفعه بأحذيته الغليظة ليطأ أرض الإسلام طمعاً منه في القضاء على أمته ومسخ تعاليمه.

قالوا عن الوقت

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

ما ندمت علي شيء ندمي على يوم غربت فيه شمس
نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي ..

وقال قتادة بن خليد :

المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاثة خلال : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ،
أو حاجة من أمر دينه لا بأس بها .

ويقول الإمام علي رضي الله عنه :

" خذ من نفسك لنفسك ، وتزود من يومك لغدك ،
واغتنم غفو الزمان ، وانتهز فرصة الإمكان "

وكان نابليون بونابرت يقول :

" إن السبب في إنتصاري يكمن في
أن أعدائي لم يعرفوا جيداً قيمة الدقائق الخمس "

ويقول الحسن البصري :

" كل يوم تشرق فيه شمس ينادي هذا اليوم : أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد
فاغتنميني فإني لا أعود إلى يوم القيامة "

وقال أيضاً :

" يا بن آدم .. إنما أنت أنفاس وأيام ، فإذا ذهب نفسك ويومك
فقد ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل "

قال ابن القيم رحمه الله :

" كل نفس وكل عرق سيخرج في الدنيا في غير طاعة لله أو فائدة في الحياة
سيخرج يوم القيامة حسرة وندامة "

ويقول العلماء :

" إن من علامات غضب الله على العبد أن يكون مضيعاً للوقت .. ومن علامات
محبة الله للعبد أن يجعل سواعاته أكثر من وقته "

لقد أكدت الدراسات التي أجريت على فئات كثيرة من الشباب أن الفراغ يعاني منه حوالي ٦٠ ٪ وبمعدل يزيد ٣ ساعات يومياً .. ومن ذلك نتوقع من هذه النسبة من أوقات الفراغ ترتفع بشكل كبير في أيام العطلات الرسمية والإجازات.